فهارس البحث العلمي . تعريفا وتطورا وإعدادا

أ. عبد الكريم طموز
جامعة قسنطينة 02 – الجزائر

الملخص:

تناول المقال موضوع التوجيه المنهجي لما يتضمنه أي عمل علمي، والذي لا يتم إلا من خلال مفاتيح البحث التي تتمثل في فهارس العمل العلمي، والتي تربط المطالع بالأفكار والمعلومات التي يتضمنها البحث، بأيسر طريق وبأقل جهد وفي أسرع وقت. جاء هذا البحث منبها ومعرفا بحقيقة الفهرس لغة واصطلاحا وظهوره ومراحل تطور مفهومه، وبأقسامه وأنواعه وأهميته وقيمته العلمية وفائدته، وكيفية انجازه، وعلاقة الباحثين بالفهرس من حبث إنجازه والإستفادة منه، باعتبار أن الفهرس أحد أهم جزئيات البحوث العلمية.

الكلمات المفتاحية: البحث العلمي، الفهارس، التوجيه المنهجي، إعداد فهرس.

Abstract :

The article addressed the topic of the systematic guidance of what is included in any scientific work, which is only carried out through the research keys represented in the scientific work indexes, which link the readers with the ideas and information contained in the research, in the easiest way, with the least effort and in the fastest time. This research came out with an awareness and knowledge of the fact of the index language and terminology and its emergence and stages of the development of its concept, and its sections, types, importance, scientific value and usefulness, and how it is accomplished, and the relationship of researchers to the index from the search for its completion and benefit from it, considering that the .index is one of the most important parts of scientific research

Key words: Scientific research, Indexes, Methodological guidance, Index preparation.

مقدمة:

إن الغاية من وضع التآليف والبحوث الإفصاح عن الابتكارات ونتائج الاجتهادات، وترتيب ما يجب ترتيبه مثلا، والرد على ما يجب الرد عليه إلى آخر ما يمكن أن يكون داعيا المؤلِّف لوضع تأليفه، ولكن؛ بعد جمع ذلك و تحسين عرضه، ينبغي لصاحبه تيسير وتسهيل طريقة الوصول إلى كل جزئية من جزئياته للمطالع، مهما كان مستواه أو تخصصه.

ولا تكون الاستفادة من البحوث والتآليف إلا بإحدى الطريقتن: إما بقراءة الكتاب كله من أوله إلى آخره؛ وهذا أسلوب المتقدمين ويغلب على اهل الاختصاص الذين لهم الرغبة في الالمام والنظرة الشاملة ونية الاستكشاف والانتقاد، وإما بالاطلاع المباشر على النص أو الصفحة أو الموضوع أو الفصل أو المبحث الذي يتضمنه المؤلَّف، أو من خلال كلمة مفتاحية ترغِّب القارئ الوقوف عليها في المحل الذي وردت فيه سواء تكرر محل ورودها أو لم يتكرر، وهذا لا يتم إلا بآلية الفهرس أو الفهرسة كما يصطلح عليه، إذ يصل القارئ لما يرغب في الاطلاع عليه من خلالها، فيعد الكتاب غلق على المطالع مفتاحه الفهرس، فتؤدي بذلك الفهارس بنوعيها . الموضوعية والفنية . مهمة إرشاد القارئ الى ما يرغب في الاطلاع عليه.

من خلال هذه المداخلة البسيطة، أحاول جمع وترتيب ما يخص هذا القسم الأساسي أو كما يصفه آخرون بالتكميلي، من أقسام الأعمال العلمية، كيفما كان نمط انجاز هذه الأعمال العلمية، والذي يمكن ان نسميه بالتوجيه المنهجي لما في صلب البحث أو الرسالة، كما يسمى صلب موضوع البحث أو الرسالة البناء المنهجي، تعريفا ونشأة وتطورا وإعدادا، كما نشير إلى أهميتها عموما وأهمية كل نوع منها على وجه الخصوص، هذا كله فيما يخص العلوم الإنسانية على وجه الخصوص، والعلوم الاجتماعية والاسلامية من الناحية العامة.

الفهارس: المفهوم اللغوي والمدلول الإصطلاحي والأقسام.

على أساس الأهمية التي يكتسيها قسم الفهارس من بين سائر أقسام البحوث والمؤلفات، يتعيّن علينا قبل الخوض في جزئيات هذا الموضوع، الوقوف مع معناه اللغوي والإصطلاحي، حتى يتأتى للباحثين والطلبة الإحاطة بالصورة المعنوية للفهرس وحقيقته اللغوية قبل تتبع تفاصيله وتجسيده في أعمالهم.

1. لفظ ومصطلح فهرس.

لفظة فَهْرَس أو فِهْرِس أَوَ فَهْرَسة أو فِهرِست لفظة معربة أصلها فارسي.

قال في تاج العروس: الفِهْرِس، بالكسر، أَهمله الجوهري، وقال الليث: هو الكتاب الذي تجمع فيه الكتب، قال: وليس بعربي مَحْض، ولكنَّه معرب، وقال غيره: هو معرب فِهْرِسْت. وقد اشتقوا منه الفعل فقالوا: فَهْرَسَ كتابه فَهْرَسَة، وجمع الفَهْرَسَةِ فَهَارِس[1].

قال الزركشي في تعليقه على ابن الصلاح: يقولون فهرسَة بفتح السين وجعل التاء فيه للتأنيث، ويقفون عليها بالهاء، والصواب كما قاله ابن مكي في تثقيف اللسان: فهْرسْت بإسكان السين، والتاء فيه أصلية، ومعناها في اللغة جملة العدد للكتب. واستعمل الناس فيها فهرس الكتب يفهرسها فهرسة، مثل دحرج. وإنما الفهرسة اسم جملة العدد. والفهرسة المصدر كالفذلكة، يقال فذلكة الكتاب إذا وقفت على جملته. وقال الخوارزمي هو كتاب ودفاتر تذكر فيه الأعمال ويكون في الديوان وقد يكتب فيه أسماء الأشياء. قال أبو عبدالله الرهوني في أول أوضح المسالك: علم من اصطلاح القاموس أنه بكسر الفاء وسكون الهاء، وأما الراء فسكت عنها[2].

أما من حيث النطق بها فإنها تنطق بطرق مختلفة، أكثرها شيوعا فتح الفاء والراء وتسكين الهاء، كما تنطق بكسر الفاء والراء، والتاء قد تكون مفتوحة أو مربوطة، ومن المصادر ما أجاز أن تكون هذه التاء الأخيرة هاء، وقد اشتق منها الفعل فهرس يفهرس والمصدر فهرسة وذلك على قياس دحرج[3].

فالفهرس إذن هو قائمة تحتوي على محتويات كتاب معين أو بحث علمي معين، حيث يعرض فهرس الكتاب أو المجلة محتوياتها حسب تسلسل وروده فيه[4]. والفهارس كذلك هي مجمل القوائم التي تجمع وترتب ما احتواه الكتاب أو العمل العلمي من أسماء للاعلام والكتب والبلدان والقبائل وغيرها مما يمكن أن يشكل فهرسا ذا قيمة علمية وفنية.

وحسب ما تبادر لذهني أن هذا اللفظ أو هذا المصطلح حيث ما استعمل فإن له دوران؛ أحدهما الجمع والترتيب الفني، والثاني التوجيه المنهجي.

2. تطور آلية الفهرس عبر الأعصر والمدلولات الأخرى لمصطلح فهرس.

خلت مؤلفات الأوائل من علمائنا ومصنفينا العرب والمسلمين من الفهارس التي هي موضوع المباحثة بأنواعها الكل، وقد استعمل الناس هذه الكلمة قديما، من لدن ابن النديم(ت 385هـ) صاحب كتاب الفهرست[5]. وقد كانت كلمة فهرس تطلق في تراثنا العربي على الفهارس والبيبليوجرافيات[6].

استخدم ابن النديم مصطلح فهرست، وعنى به جمع وترتيب كل ما صدر من الكتب العربية في زمنه باختلاف تخصصاتها من أديان وفقه وتاريخ وأدب وغيرها، فيعتبر عمله من باب بيبليوغرافيا الكتب والمكتبات مع أنها تصب في نفس المنحى المنهجي العلمي لهذا المصطلح، واستعمل الأوائل كلمة فهرس كذلك مصطلحا للدلالة على مصنفات التعريف بالشيوخ وتعارفوا عليها بفهارس الشيوخ أو ما يسمى بالثبت أو البرنامج أو المشيخة، وهي تسميات أطلقت على المصنفات التي هي عبارة عن ببليوجرافيا تحصر وتسجل شيوخ وأساتذة وترتب مؤلفيها والفنون والكتب التي درسوها، ويعد هذا المجال بالضبط من مجالات التوثيق والأمانة العلميّة.

ففي المراحل الأولى . كما يظهر . جمعت لفظة فهرس بين البيبليوجرافيات وغيرها من المفاهيم الأخرى وما تدل عليه اللفظة اليوم من المفاهيم ، ثم أخذت الحدود بينهما تتضح يوما بعد يوم، وبدأ مفهوم كل منهما يستقر في الأذهان متميزا عن الآخر[7].

وأما صورة فهرس الموضوعات والفهارس الفنية على النحو الذي نحن بصدد البحث فيه؛ فلم نراه لدى المتقدمين، إذ لم يكن ترتيب مواد الكتاب ترتيبا مفصلا بشكل فهرست أمرا لم يكن معروفا عند علماء المسلمين[8].

وغياب هذه التقنية لدى المتقدمين أمر تدل عليه مخطوطات التراث العربي عبر الأعصر ، إذ لم يستخدمها أسلافنا؛ مع استخدامهم للمصطلح في صور أخرى كما سبق ذكره، وربما يعود هذا لانعدام الترقيم الذي يعد أساسا لصناعة الفهرس، فكما هو معروف أن ترتيب أوراق وصفحات الكتب كان يعتمد على تقنية التعقيبة، ولكن نوعا ما هناك استخدام لأقسام وفصول وأبواب ومباحث المصنفات؛ من أجل تحديد مواضع جزئيات الكتاب وتيسير الوصول إليها، فنجد الناقل مثلا ومن أجل الأمانة العلمية يحدد موضع نقله من الكتاب المنقول منه بإحكام، كما نفعل اليوم من خلال ذكرنا لرقم الجزء المنقول منه والصفحة، من أمثلة ذلك:

يقول في مخطوط غنية المقتصد السائل فيما حل بتوات من القضايا والمسائل: قال ابن فرحون في القسم الثالث من الفصل الثالث من القسم الثاني من الركن السادس من تبصرته قال ابن حبيب قال أصبغ عن ابن القاسم إلخ[9]. ومن أمثلة ذلك كذلك: مسألة من الشهادة بالتعصيب في الورقة الواحدة والأربعين ومائة من السفر الرابع من المعيار قبل نوازل الشفعة بورقتين[10]. أورد المؤلف هذا التحديد طلبا لتسهيل الوصول إليها من طرف من يرغب في ذلك، لا يخفى ما في ذلك من تعزيز للأمانة العلمية التي يرومها كل مطالع، هذا التحديد من المؤلف كان ينوب عنه ذكر الصفحة من فهرس الكتاب المنقول منه لو كانت هناك فهرس لهذا الكتاب المنقول منه.

وبناء على ما تقدم فقد كان للفهارس سابقة قديمة عند العرب في كتب الرجال والتراجم والبلدان ومعاجم اللغة[11].

ومما تجدر الإشارة إليه في هذا الصدد؛ أنه قد أخذ يظهر في مؤلفات العصور المتأخرة ما يشبه الفهرست[12]. فقد أعد الذهبي فهرسا بأسماء الأعلام الواردة في كتاب ابن حبان "الثقات" وكذلك فعل نجم الدين ابن فهد(تـ1480م) وضع فهارس لكتاب ابي نعيم حلية الأولياء، ولكتاب عياض ترتيب المدارك، ولكتاب ابن أبي أصيبعة عيون الأنباء، ولعدة كتب أخرى، وقال أن غايته تيسير استعمال هذه الكتب لدى القارئ، ووضع الشعراني (تـ1565م) فهرسا للمختصر الذي كتبه لكتاب التذكرة للسويدي (تـ1291م) [13].

ثم بعد ذلك اشتهر استعمال لفظ الفهرس حديثا[14]. و ظهر ذلك بشكل أوسع خصوصا بعد مرحلة الإعتناء الإستشراقي بالتراث العربي الإسلامي، حيث أصبح منهج البحث العلمي وفنياته على مستوى العالم له نفس التصميم تقريبا، وللمستشرقين فضل التوسع في هذا التنويع الحديث، الذي يتبعه ويسير على هداه محققو العرب اليوم، وإن زادو عليه أكثر[15].

وأصبحت كل المؤلفات والأعمال العلمية على اختلاف البلدان ولغات العالم تتضمن أنواعا من الفهارس على مقدمتها فهرس الموضوعات. وقد كان زكي باشا أول من عرفناه مفهرسا لكتاب الأصنام سنة 1914م[16].

3. أنواع الفهارس وأشكالها.

يصنع المؤلف لتأليفه من الفهارس ما يقتضيه تخصص وموضوع التأليف، ويصنع المحقق للمخطوط الذي قام بتحقيقه بحسب ما يتطلبه فن وموضوع المخطوط، والقاعدة والاساس في ذلك كله الإشارة الى مواطن قضايا وأفكار من خلال تحديد مواضع مواضيع وألفاظ ومصطلحات وأسامي لها علاقة بتلك القضايا والأفكار، ويلزم هاهنا أن ندرك أن التاريخ والآداب وعلم اللغة العربية والفلسفة والعلوم الدينية وغيرها من أمهات العلوم الإنسانية

والإجتماعية، ذات تداخل وتكامل، لكل صاحب تخصص من هذه التخصصات علاقة وطيدة حسب موضوعه الذي هو بصدد البحث فيه بالمجالات الأخرى، فعلى المؤلفين أن يبسِّطوا ويختصروا الطريق لكل باحث يعتبر له هذا المؤلَّف مجالا خصيبا، وهذا هو أحد أسباب تنوع الفهارس وأحد أهم فوائدها.

فمؤلف أو محقق كتاب في علم النحو العربي: تتنوع لديه ملامس الكتاب ومباحثه مما يستدعي الإشارة إلى أهم معطيات الكتاب في فنه خصوصا، وفي الفنون الأخرى ذات العلاقة القريبة أو البعيدة عموما، فمثلا يكون أهم ما يشير إليه من خلال الفهارس: الأعلام؛ فبالإشارة إلى الأعلام الوارد ذكرهم في الكتاب إشارة إلى أهميته، وبقدر عددهم وقيمتهم في فن الكتاب تظهر قيمة الكتاب، ومن أهم فهارس كتب النحو العربي فهرس المصطلحات الفنية التي لها العلاقة باللغة والأدب العربي......، ومنها كذلك الفهرس الخاص بالأيات والفهرس الخاص بالأحاديث والفهرس الخاص بالأبيات التي وردت بغية الإستشهاد بها، وهذا كله مما يظهر قيمة المؤلَّف بعد النظر فيه، ويسهل للمطالع التوجه نحو بغيته في الكتاب مباشرة.

ومؤلف أو محقق كتاب في التاريخ مثلا تتنوع معطيات الكتاب الذي هو بصدد خدمته، مما يستدعي الأمر إلى أن يصنع لمصنفه أنواعا من الفهارس الفنية إضافة إلى فهرس موضوعات الكتاب، فيلزمه وضع فهرس للأعلام الوارد ذكرها في هذا الكتاب، وفهرس للأماكن والبلدان، وفهرس عناوين الكتب المذكورة فيه، وفهرس لكل المواد التي يمكن أن تكون مفتاحا للباحث وتلفت انتباهه لما له العلاقة باهتماماته.

ومجمل القول أن الكتاب يحتاج إلى عدد من الفهارس كما ونوعا يختلف ذلك باختلاف موضوعه، ففهرس كتاب في التاريخ يختلف عن فهرس كتاب في الأدب أو الحديث أو الفقه، ومع ذلك فهناك قدر مشترك من الفهارس تشترك فيه أغلب الكتب[17].

ولذلك تنوعت الفهارس وتعددت أشكالها، ومما تجدر الإشارة إليه منها ما يلي:

القسم الأول: فهرس المواضيع:

وهو الذي يجب أن لا يخلو منه كتاب، فهو المفتاح الأساسي لما يتضمنه الكتاب، له مسميات أخرى غير كلمة فهرس أو فهرسة المواضيع منها: محتويات الكتاب، مسرد مواضيع الكتاب، ثبت محتويات الكتاب.

يأتي دائما في نهاية الكتاب، وربما كان في أوله في بعض الأحيان، ويجب وضع أرقام الصفحات فيه بعد طبع كل صفحات أوراق العمل التأليفي، يجب أن يحرر بعناية على درجة عالية من الإتقان والضبط. وجودة فهرس كل كتاب وإتقانها، تقاسان بحسن دلالتهما على محتواه سرعة وصوابا[18].

القسم الثاني: الفهارس الفنية.

هذا النوع الثاني من الفهارس والتي تزيل بها بعض الكتب ليست فهارس بالمعنى الإصطلاحي؛ وإنما هي كشافات تحلل محتويات تلك الكتب، وتستخرج ما في بطونها من جزئيات، تسردها مرتبة على حروف المعجم[19].

وهي كثيرة الأنواع مختلفة الفنون والمجالات منها:

01. فهرس الآيات الواردة في المصنف أو المخطوط المحقق.

02. فهرس الأحاديث الواردة في المصنف أو المخطوط المحقق.

03. فهرس عناوين التآليف الوارد ذكرها في المصنف أو المخطوط المحقق.

04. فهرس الأعلام الوارد ذكرها في المصنف أو المخطوط المحقق.

05. فهرس أسماء البلدان الواردة في المصنف أو المخطوط المحقق.

06. فهرس أسماء القبائل والأجناس والفرق الواردة في المصنف أو المخطوط المحقق.

ومعظم الكتب من سائر تخصصات العلوم الإنسانية والعلوم الإجتماعية لا تخلو من الأنواع السابق ذكرها، وتبقى أنواعا أخرى ينحصر وجودها في فن من فنون العلم، مثال ذلك:

07. فهرس القواعد الأصولية والفقهية الوارد ذكرها في المصنف أو المخطوط المحقق.

08. فهرس المصطلحات الأصولية والفقهية الوارد ذكرها في المصنف أو المخطوط المحقق.

09. فهرس المصطلحات الفنية والحضارية الوارد ذكرها في المصنف أو المخطوط المحقق.

10. فهرس القوافي والأبيات الشعرية الوارد ذكرها في المصنف أو المخطوط المحقق.

11. فهرس الأمثال والحكم الوارد ذكرها في المصنف أو المخطوط المحقق.

12. فهرس الأخطاء الإملائية وتصحيحاتها، والذي كان مستعملا قبل ظهور برامج الكتابة الألكترونية المعاصرة.

13. فهرس (المصطلحات) أو (النظريات) الاقتصادية.

ولكل صاحب تخصص أن يضع من الفهارس ما يكون واضح الأهمية والقيمة العلمية، لأنها تعتبر كشافات ذات أهمية لكل ذي اهتمام، فينفرد صاحب اختصاص الإعلام بما يناسب تخصصه، والباحث في القانون بما يناسب تخصصه، والباحث في أدب الرحلات كذلك.

أما ترتيب الفهرس مع غيره من الفهارس في الكتاب، فإن المنهج المنطقي تقديم أهم الفهارس وأشدها مساسا بموضوع الكتاب، فإن كان كتاب تاريخ مثلا قدم فيه فهرس الأعلام، وإن كان كتاب أمثال قدم فيه فهرس الأمثال، أو كتاب خطط قدم فيه فهرس الأماكن، ثم تساق بعد سائر الفهارس الأخرى[20].

. أهمية الفهارس وقيمتها العلمية.

01. أهمية الفهارس بكل انواعها وقيمتها.

إن اعتبار السخاوي الذي كان زميلا لابن فهد؛ بأن الفهارس التي صنعها ابن فهد للكتب السابق ذكرها هي أحسن وأنفع ما أنتجه ابن فهد في حقلي الأدب والتاريخ[21]. من أهم ما يوضح نظرة علماء سلفنا لأهمية وقيمة الفهارس بأنواعها.

وتتضح أهمية الفهارس بنوعيها من ناحيتين بالنسبة للكتاب أولا وللباحثين ثانيا:

فالكتاب الذي يخلو من الفهرس الأساسي وهو فهرس الموضوعات، يعتبر كتابا ناقصا من أهم شيء فيه، وهو مفتاح البحث ودليل التوجيه، إذ يعتبر الفهرس مفتاح الكتاب وإذا افتقد المفتاح قلّت القيمة، فنجد الكثير من القارئين والمطالعين حتى من أهل التخصص والبحث؛ ينصرفون عن الكتاب بمجرد أول نظرة فيه، سبب ذلك خلوه من فهرس للموضوعات التي يتضمنها، ويصفون الكتاب بأنه متعب ويذهب بالجهد الذي لو توفر لأنجزنا فيه أضعاف ما ننجزه عند انعدام الفهرس، وخصوصا كتبنا القديمة الكبيرة الحجم لا يستطاع الانتفاع بها انتفاعا حقيقيا ما لم يكن لها فهارس مفصلة[22]. هذا بالنسبة للكتب.

أما بالنسبة للمطالع فإنه كما سبق يوفر له من الوقت ما لا يتوفر له عند انعدام الفهرس، ونحن في عصر أحوج ما نكون في إلى اختزال الوقت وإنفاقه في أنفع الأمور[23].

ومن أهم ما يقدمه الفهرس التوجيه إلى أفكار جزئية تخص القارىء يحتويها الكتاب، لم يكن ليقتنصها لولا وجود الفهرس، ذلك أن في الكتب كثيرا من المعلومات والأسماء التي تأتي عرضا واستطرادا، والباحث قد يكون في أمس الحاجة إلى هذه المعلومات والأسماء، ولكن كيف يعثر عليها وكيف يرجع إليها عند الضرورة ما لم يكن لها مثل هذه الفهارس المفصلة. لهذا فإن كل كتاب يحقق ويطبع دون فهارس وافية، يعتبر جناية عليه وعلى القارئين، إذ لا يعقل أن نقرأ كتابا له عدة أجزاء بحثا عن علم أو نص تائه، بين مئات الصفحات[24]. ولم تظهر أهمية الفهارس ونفعها إلا بعد اكتشاف الطباعة سواء في الشرق أو في الغرب[25].

ومن بين الأمور التي تبرز أهمية الفهاس العلمية، اعتبار فهرس الموضوعات أساسا من أساسيات إضفاء الأمانة العلمية وتعزيزها، حيث يتيح الفرصة بأسرع وقت ممكن لمن له شك في إحالة من الإحالات، وجدها في كتاب من الكتب، أن يتوجه مباشرة لفهرس موضوعات الكتاب المنقول منه، ويتحقق من ذلك بأبسط جهد وأقل وقت، ولا يخفى ما يلاقيه من أراد التحقق من إقتباس ورد في كتاب أو مقال أقتبس من كتاب لا فهرس فيه، فربما تكاسل عن ذلك التحقيق لسبب من الأسباب كأن يكون ذلك الكتاب كبير الحجم كثير الصفحات جدا. فالنتيجة هنا ملازمة الباحث شكه.

والخلاصة أن الوصول للمعلومة بالتوجيه المحكم لمحلها وبأقل جهد وفي أقصر مدة أهم ما يقدمه الفهرس للمطالع وأهم ما يستفيده المطالع من الفهرس.

02. الدلالات المعرفية للفهارس الموضوعية والفنية.

تكتسي الفهارس قيمتها العلمية من خلال الدلالات التي توفرها لكل باحث في مجاله، حيث تعتبر الفهارس في حد ذاتها وكما يصطلح لدى البعض عليها كشافات، فتكشف عن كل ما هو خاف ومدرج في مضمون البحث.

فأول ما يستفيده القارئ من فهرس الموضوعات هو الدلالة على وجود الفكرة المبحوث عنها في الكتاب أولا، كواقعة تاريخية سمع بها ويريد أن يطلع عليها مباشرة، أو اطلع عليها في كتاب وهو بصدد جمع جميع ما ورد فيه من الروايات، حيث يفرح هذا الباحث بمجرد تيقنه بوجودها بهذا الكتاب قبل فرحه بالتوجه الى موضعها وسرعة الوصول إليها.

ونجد كذلك أن الفهارس الفنية توفر الكثير من المعلومات وتوجه إليها في شتى مجالات البحوث العلمية الإنسانية والإجتماعية، من خلال مجال أسماء الأعلام، أو مجال أسماء البلدان، أو مجال عناوين الكتب، أو مجال المصطلحات، أو مجال القبائل، أو مجال الشعر

والشعراء، إلى آخر مجالات الفهارس، فالفهارس بأنواعها تُظهِر ما في بطون الكتب من خفايا يصعب الاهتداء إليها[26].

فكم من باحث اتضحت له السبل في أمر استصعبه وطال عليه أن يجد حله، من خلال فهرس فني لأحد الكتب، فالباحث عن الشخصيات التي يقل أو ينعدم وجودها في كتب التراجم، قد يستطيع أن يتدارك ذلك بالبحث عنها في فهارس كتب الرحلات والتاريخ والبرامج وغيرها من الكتب التي هي مظنة ورود أسماء الأعلام، وكم من باحث يشغله مصطلح أدبي أو اقتصادي كعملة مثلا أو نوع من أنواع التعاملات التجارية أو تاريخية استعمال مصطلح مثلا، أو الكشف عن معناه، أو هو بصدد جمع جميع ما ورد في معناه، وجد ما يشفي غليله من خلال مطالعته لفهارس الكتب التي تعتبر مظنة لوجود ما يبحث عنه.

ومن بين الأمور التي تظهر القيمة العلمية للفهارس؛ اعتبارها في بعض الأحيان معيارا أو ميزانا، توزن به صحة نصوصها وضبط أعلامها، يعرف هذا من عايش عملية الفهرسة[27].

. كيفية إنجاز الفهارس.

. أسس اقتراح الفهارس الفنية للبحوث وكيفيات إعدادها.

تقدم أن أشرت إلى أقسام وأنواع الفهارس، وعلى كل مؤلف أو باحث أن يقترح لعمله من انواع الفهارس ما يكون مناسبا وذا أهمية، ولا يتبين له هذا إلا إذا كان ذا اطلاع على الفهارس المنجزة في مصنفات الفنون العلمية الإنسانية والإجتماعية، وكذلك لا يمكنه اقتراح فهارس مناسبة لعمله العلمي إلا إذا تفطن للتداخل الذي يكون بين تخصص عمله العلمي والتخصصات الأخرى، ومدى حاجة الآخرين من غير تخصصه لعمله العلمي بغض النظر عن تخصصه.

وينبغي للباحث الإقتصار في الفهارس على ما تدعو إليه حاجة الكتاب، دون إسراف وتطويل، ومن صور الإسراف والتطويل ما فعله انستاس الكرملي(ت1947م) في الجزء الثامن من كتاب الإكليل في تاريخ اليمن، للحسن بن أحمد الهمداني (ت334هـ) فقد وضع للكتاب

ثمانية عشر فهرسا، للفصول للقواعد العربية للمحدثين للرواة للسدود للقبور للمعمرين من العرب للجبال للحصون للقلاع والقصور للألفاظ الغريبة للألفاظ الخاصة بالمؤلف للشعراء للقوافي، وقد استوعبت الفهارس مائة وسبعة وخمسون صفحة بالحروف الصغار، مع أن نص الكتاب مائتين وستا وتسعين صفحة بالحروف الكبار، وهذا إفراط في الفهرست[28].

وفي هذا المطلب من هذه المداخلة: أشير إلى أمرين أحدهما كيفية صناعة ثلاث أنواع من الفهارس الفنية، وأسوق تجربتي في صناعة فهارس مذكرتي في الدكتوراه.

أولا:

01. لصناعة فهرس الآيات؛ ترتب الآيات بعد جمعها في الفهرس الخاص بها حسب حرف الذي تبتدئ به، وفق الترتيب الأبجدي لحروف العربية، فيأتي في الأول ما كان من الآيات أول حروف كلماتها الألف، وتختتم بالآيات التي أول حروف كلماتها الياء.

ولترتيب فهرس الآيات شكل آخر: حسب ترتيب السور في المصحف وتتسلسل الآيات فيه حسب ترتيبها في السورة فيأتي في مستهل هذا الشكل من أشكال فهرس الآيات سورة الفاتحة، وترتب فيه الأيات الوارد ذكرها في الكتاب وفق ترتيبها في السورة وهكذا إلى نهاية ما ورد[29].

وإذا كان الكتاب من الكتب التي يكثر فيها الاستشهاد بالقرءان مثل كتب التفسير فهناك طريقة أخرى لفهرسة الأيات تسهل الوصول الى آية المطلوب الكشف عنها وذلك حسب ترتيب الآيات حسب موادها اللغوية على طريقة المعجم المفهري لألفاظ القرءان الكريم، مثال ذلك: المادة اللغوية أتى؛ نجمع وبترتيب معجمي الآيات التي وردت فيها، (حتى أتينا اليقين)،(يوم تاتي كل نفس تجادل عن نفسها) وهكذا[30].

02. ولصناعة فهرس الأحاديث النبوية؛ يمكن كذلك وضعه وفق المواد اللغوية، كما سبق بيانه في فهرست الآيات القرآنية، وذلك على طريقة المعجم المفهرس لألفاظ الحديث، وهذه الطريقة تفيد في الكشف على الحديث الذي لا تعرف الكلمة الأولى منه، حيث يتعذر العثور عليه في الفهرس المرتب معجميا على أوائل الأحاديث[31].

03. وأما طريقة صناعة فهرس القوافي والأبيات الشعرية: فترتب على حسب القوافي، فيبدأ بما حرف رويه همزة ثم باء ثم تاء ..الخ، فتذكر الكلمة الأخيرة من كل بيت مع مراعاة حركة الروي وترتيب البحور مع ذكر البحر واسم الشاعر أما كل بيت، ولا ترتب الأبيات على أوائل كلماتها[32].

04. ولصناعة فهرس الأعلام والبلدان والكتب فترتيبها يكون حسب حرف الذي تبتدئ به، وفق الترتيب الأبجدي لحروف العربية، فيأتي في الأول ما كان منها أول حروفه الألف، وتختتم بالتي أول حروف كلماتها الياء، مع مراعاة ترتيب الحروف في نفس الكلمة من الأول الى الاخير.

وبخصوص فهرس الأعلام يقدم الإسم على اللقب والكنية، ومن اشتهر بنسبة مثل ابن خلكان، أو لقب مثل المازري، أو كنية مثل أبي حنيفة، وضعت أسماء الشهرة هذه في أماكنها من ترتيب الحروف، ويوضع أما كل منها اسم الشخص واسم ابيه، فابن خلكان مثلا يوضع أمامه: أحمد ابن محمد وهكذا، وأما الأب والأم و ذو في أوائل الأسماء، فسيان اعتبار حروفها في ترتيب الأسماء وإهمالها، ولكل ان يختار الأيسر له[33].

ثانيا:

وبما أن طبيعة مذكرتي تحقيق مخطوط، فإن الأمر يقتضي إرشاد كل ذي اهتمام بفن هذا المخطوط لمضامينه، ولذلك وضعت له فهرس لموضوعاته، وهو الفهرس الأساسي، وأردفته بفهارس فنية مختلفة، قبل ذكرها يجب أن أشير إلى أن فن المخطوط النوازل وعنوانه؛ فعنوانه: غنية المقتصد السائل فيما حل بتوات من القضايا والمسائل، للشيخ عبدالعزيز البلبالي التواتي تـ1261هـ. وفنه أدب النوازل الفقهية، الذي كما هو معروف أصبح المجال الخصيب للباحث في التاريخ والمجتمع والتراجم والبلدان والأدب والقانون والاقتصاد بغض النظر عن تخصصات العلوم الإسلامية. فوجب إرشاد كل ذي اهتمام لما يلائمه في النص المحقق.

فكان بذلك لهذا المخطوط المحقق عدة فهارس: الأولى للأيات القرءانية، والثانية للأحاديث النبوية، وأخرى للأعلام وكم أشار المخطوط لأسامي أعلام لا ترجمة لها وأخرى لا ذكر لها إلا في هذا المخطوط، وفهرس للكتب الوارد ذكرها في المخطوط وكم أشار المخطوط لعناوين كتب محلية التأليف تستحق أن تنفرد هذه العناوين بمؤلف خاص وأكثرها مخطوط، وفهرس للمصطلحات الفنية والحضارية الكثير منها محلية، وفهرس للقبائل والأجناس والفرق، وفهرس للقواعد الأصولية والفقهية الواردة في المخطوط، وأخرى للمصطلحات الأصولية والفقهية الواردة في المخطوط يدرك من خلالهما المتخصص في الفقه وأصوله قيمة المخطوط قبل تصفحه، وفهرس للبلدان، والأخير للمواضيع.

خاتمة.

تنطوي هذه المداخلة تحت كليات وجزئيات المحور الرابع من محاور هذا الملتقى، وموضوعها هو التوجيه المنهجي لما يتضمنه أي عمل علمي، من خلال مفاتيح البحث التي تتمثل في فهارس العمل العلمي، فلا وصول الى ما يتضمنه أي كتاب من أفكار ومعلومات وتنبيهات، بأيسر طريق وبأقل جهد وفي أسرع وقت؛ إلا من خلال فهارسه الموضوعية والفنية.

ولا يتحقق هذا إلا بإنجاز هذه المفاتيح بدقة واتقان وفق ما تعارف واصطلح عليه المصنفون والباحثون.

جاء هذا البحث منبها لأهمية وقيمة هذا الجزء الأساسي من جزئيات البحوث العلمية والمصنفات، ومعرفا بحقيقة الفهرس لغة واصطلاحا وظهوره ومراحل تطور مفهومه، وبأقسامه وأنواعه وأهميته وقيمته العلمية وفائدته، وكيفية انجازه. إذ نرى ما نرى من.

وما نراه من تفريط في صنع فهارس البحوث، وما نرى ما عليه الفهارس بين الإتقان والإهمال من خلال الكثير من بحوثنا الأكاديمية، أكبر دليل على علاقة الباحثين والطلبة غير الإيجابية مع الفهارس من ناحية هضم المفهوم، والإنجاز المتقن، والأكثر من ذلك علاقتهم بالفهارس من حيث الإستنفادة منها وكيفية ذلك.

ومن ذلك؛

. نجد أن الكثير من الرسائل العلمية تفتقر إلى أنواعا من الفهارس الفنية التي يلزم أن تكون فيه.

. الكثير من الفهارس الفنية لا يضع فيها المنجز جميع أهم مفرداتها، حيث تجد مثلا الكثير من البلدان مذكورة في البحث أو التأليف لا وجود لها بفهرس البلدان.

. في الكثير من فهارس البحوث والتآليف لا تذكر كل الصفحات التي ترد فيها المفردة المعينة، حيث تجد مثلا المفردة مكرر أكثر من عشرين مرة يضع منها المنجِز خمسة أو ستة.

. في الكثير من فهارس البحوث والتآليف يكرر الإسم مرتين مرة مبدوء بالإسم ومرة مبدوء باللقب أو الكنية.

. في الكثير من فهارس البحوث والتآليف لا يتقن المنجِز ترتيب مفردات الفهرس، خاصة عندما يتعلق الأمر البحرف الثاني والثالث مثلا.

كل هذه النقائص التي تزعج المطالع أكثر من انزعاجه لانعدام الفهرس أصلا، يجب على الباحثين والطلبة والمؤلفين القضاء عليها، لأنه حقيقة تعطل دور ومفعولية الفهرس مع وجوده.

وقد يظهر للبعض أن البحث بالكلمة المفتاحية على شبكة الأنترنت من خلال محرك قوقل أو غيره من محركات البحث، أو البحث بالكلمة المفتاحية على نصوص المكتبات الإلكترونية؛ يغني عن الفهارس والإسترشاد بها، فجوابه أنه سيغني عنها يوم تغني هي في حد ذاتها عن الكتاب المطبوع.

الهوامش:

[1] . محمد مرتضى الزبيدي، تاج العروس من جواهر القاموس، تح: نواف الجراح، ط1أ دار الأبحاث: الجزائر، 2011، ج08/ص249.

[2] . عبد الحي بن عبد الكبير الكتاني، فهرس الفهارس والأثبات ومعجم المعاجم والمشيخات والمسلسلات، تح: إحسان عباس، ط2، دار الغرب الإسلامي: بيروت، 1982، ج1/ص70.

[3] . شعبان عبد العزيز خليفة، فهارس الشيوخ دراسة في البيبليوجرافيا، حولية الإنسانيات والعلوم الاجتماعية، 1401هـ/ 1981م، العدد 4، ص90.

[4] . عبد الستار الحلواجي، فن الفهرسة المصطلح والحدود، ندوة قضايا المخطوطات (فن فهرسة المخطوطات مدخل وقضايا)، تنسيق فيصل الحفيان، معهد المخطوطات العربية: القاهرة، 1999، ص28.

[5] . الغرياني الصادق بن عبد الرحمن، تحقيق نصوص التراث في القديم والحديث ط1، دار ابن حزم: بيروت، 1427هـ/2006، ص137.

[6] . عبد الستار الحلواجي، نفسه، ص28.

[7] . عبد الستار الحلواجي، نفسه، ص28.

[8] . فرانتزر روزنتال، مناهج العلماء المسلمين في البحث العلمي، تر: أنيس فريحة، دار الثقافة: بيروت، 1961، ص112.

[9] . البلبالي محمد عبد العزيز، غنية المقتصد السائل فيما حل بتوات من القضايا والمسائل، خطوط بخزانة كوسام بلدية تيمي أدرار، بدون ترقيم، 159و.

[10] . نفسه.

[11] . عبد المجيد دياب، تحقيق التراث العربي منهجه وتطوره، دار المعارف: القاهرة، 1993، ص286.

[12] . نفسه ص286.

[13] . فرانتزر روزنتال، نفسه، 112.

[14] . الغرياني، نفسه، ص137.

[15] . عبد المجيد دياب، نفسه، ص 288.

[16] . نفسه، ص288.

[17] . الغرياني، نفسه، ص137.

[18] . الغرياني، نفسه، ص137.

[19] . عبد الستار الحلواجي، نفسه، ص28.

[20] . عبد المجيد دياب، نفسه، ص 298.

[21] . فرانتزر روزنتال، نفسه، ص112.

[22] . عبد المجيد دياب، نفسه، ص 286.

[23]. نفسه، ص286.

[24]. نفسه، ص286.

[25]. نفسه، ص288.

[26]. عبد المجيد دياب، نفسه، ص 286.

[27]. عبد المجيد دياب، نفسه، ص 286.

[28]. الغرياني، نفسه، ص137.

[29]. الغرياني، نفسه، ص138.

[30]. الغرياني، نفسه، ص137.

[31]. الغرياني، نفسه، ص139.

[32]. الغرياني، نفسه، ص140.

[33]. الغرياني، نفسه، ص 142.